السكان في ليبيا من خلال كتب الرحلات العربية والأوروبية في العصر الحديث

دكتور علي مفتاح ابراهيم منصور
كلية التربية زواره / جامعة الزاوية

الملخص:

تعد الرحلات إحدى المصادر المهمة للدراسة في تاريخ أي بلد خلال فترة زمنية محددة خاصة في العصر الحديث، وترجع أهميتها ليس لكونها مصدراً يمدنا بمعلومات تاريخية حول العديد من الجوانب أو بعددها الضخم، ولكن من حيث أهمية مادتها التي تناولت مختلف الجوانب من تاريخنا التي تفتقر إليها مصادرنا المحلية في الغالب إضافة إلى ذلك أنها تشكل شهادات متزامنة الأحداث مختلفة وتضيف تفاصيل دقيقة تبين طبيعة تلك الأحداث وملابساتها وظروفها ومن هنا تتضح أهمية كتب الرحلات والضرورة الملحة لدراستها والتدقيق فيها ولمعرفة مختلف الجوانب في ليبيا، والتحقق مما جاءت به المصادر الأجنبية من حيث نفيها وإثباتها وقد عبروا الأراضي الليبية العديد من الرحالة العرب قاصدين الأراضي المقدسة، وقد اقتصر أغلبهم المرور بشمال ليبيا دون جنوبها عبر الطريق الساحلي وقد وصفوا أرضها وسكانها وخيراتها وكتبوا عن أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، والأوروبيين كذلك فقد قدم الرحالة صورة دقيقة عن مكونات السكان في الأراضي الليبية وأثر ذلك على البنية السكانية ومن جانب آخر بين الرحالة الطرق التي وصلت منها العديد من المجموعات البشرية إلى البلاد الليبية واندماجها مع السكان وعلاقتهم هل كانت ودية أم لا، وإجمالا نقول إن المعلومات التي جاء بها الرحالة ذات أهمية كبيرة يدفعنا لدراستها والتدقيق فيها حتى نصل إلى أدق النتائج.

المقدمة:

تعرض دول العالم عبر تاريخها إلى حركة تنقل وهجرة بشرية داخلية أو خارجية من أجل البحث عن لقمة العيش والأمن والاستقرار، غير أننا لا نجد إلاّ دولاً قليلة تعرضت لهجرات بشرية على نطاق واسع، وليبيا بحكم موقعها والمعبر بين المشرق والمغرب والساحل والصحراء، تعرضت لهجرات بشرية كبيرة حيث استقر العديد من الجماعات منها بالأراضي الليبية واندمجت مع سكانها من خلال العلاقات الاجتماعية، وبمرور الزمن أصبحت جزء من تكوين عنصر السكان الليبيين الذين تقبلوا

أيضاً فيما بعد هجرات أخرى كان لها أثر في تكوين الإنسان الحضاري في ليبيا (عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 305، كذلك أحمد زكي، رحلة إلى الأندلس،1990، ص 66)(1)، وتعتبر الحياة الاجتماعية في ليبيا من أهم المواضيع التي ينبغي دراستها، ومعرفة جوانبها المختلفة كافة إلا أننا نجد في ذلك صعوبة كبيرة، لندرة المعلومات التاريخية سواء في المؤلفات القديمة، أو الحديثة التي تتناول هذا الجانب وأهمها مصادر الرحلات العربية والأوروبية، وإن كانت معلوماتها ضئيلة إلا أنها تمثل أهمية كبيرة في دراستنا للأوضاع الاجتماعية في ليبيا خلال تلك الفترة. ومن خلال نظرنا لتلك المعلومات التي جاءت بها الرحلات نجدها قد ركزت معظم اهتمامها بالمناطق الساحلية ذات العمران من خلال الكثافة السكانية العالية بها أما المناطق الأخرى سواء في الضواحي، أو في المناطق الجنوبية فقد كان الاهتمام بها ضعيفاً، وهذا بدوره يؤدي إلى صعوبة في تصوير ملامح المجتمع الليبي، وفي وضع تصور كامل للأوضاع لاجتماعية في ليبيا(سالم على الحجاجي ليبيا الجديدة ص 122)(2)، وبالتالي نستعرض الحديث عن سكان ليبيا منذ القدم حتى نتمكن من إعطاء فكرة ولو بسيطة عن السكان وربطها بالمعلومات الواردة في المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع التي تؤكد على قدم الكثافة السكانية لليبيا، وقد وقسم البحث إلى فصل ومبحثان حيث تناول المبحث الأول الهجرات البشرية التي تعرضت لها البلاد الليبية واثرها في التركيبة السكانية أما المبحث الثاني تناول الحديث عن التركيبة السكانية لليبيا واثرها الاجتماعي (البربر–العرب –الزنوج– الجالية التركية، الجالية اليهودية).

مشكلة الدراسة: تتمثل مشكلة الدراسة في وجود العديد من الرحلات العربية والأوروبية التي زار أصحابها ليبيا وكتبوا عن أوضاعها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية الأمر الذي يدعو إلى تحليل تلك الرحلات وما بها من معلومات لاعتبار أولئك الرحالة شاهد عيان لمختلف الأحداث التي وقعت في ليبيا وفي فترات زمنية مختلفة.

تساؤلات الدراسة: إن مرور العديد من الرحالة العرب والأوروبيين وفي فترات زمنية مختلفة عبر الأراضي الليبية وكتاباتهم عن مختلف الجوانب فيها يطرح العديد من التساؤلات، هل استطاع الرحالة الأوروبيون والعرب خاصه أن يكشفوا العديد من الجوانب في ليبيا خلال تلك الفترة؟ وما هو دور هؤلاء الرحالة الذين عبروا عن ليبيا في رسم الصورة الحقيقة لحقيقة الأوضاع في تلك الفترة؟ وماذا

كتبوا عن موقع ليبيا وأهميته؟ وهل استطاع العرب بالدرجة الأولى توثيق العلاقات بين أبناء الوطن الواحد؟ وهل كانت مظاهر الاستقبال التي لاقوها من جانب حكام طرابلس وأهلها في المدن الليبية على امتداد الطريق دليلاً على الروابط المتينة بين الطرفين؟

أهمية الدراسة: تتضح أهمية كتابات الرحالة من خلال تناولهم للعديد من جوانب الحياة في ليبيا وتكمن أهمية الدراسة من خلال الآتي:

1. تحاول هذه الدراسة إبراز تاريخ ليبيا الاجتماعي من خلال كتابات الرحالة العرب والأوروبيين الذين زاروا ليبيا خلال تلك الفترة والذين كانوا شاهدي عيان للعديد من أحداث هذه الفترة.
2. تحاول الدراسة تحليل وتمحيص كتابات الرحالة الذين زاروا ليبيا

أهداف الدراسة: ولهذه الدراسة أهداف تمثلت في:

1. إبراز دور الرحالة في كشف تاريخ ليبيا الاجتماعي خلال تلك الفترة
2. إبراز الجوانب التي اهتم بها الرحالة من خلال كتاباتهم عن ليبيا وأهمها الجانب السياسي، الاقتصادي. والاجتماعي
3. إبراز أهمية ليبيا كمعبر رئيسي للمسافرين من التجار والحجاج والرحالة بين المشرق والمغرب.
4. إبراز الهجرات البشرية التي تعرضت لها ليبيا وأثرها في التركيبة السكانية
5. استعراض الأقليات البشرية التي جاءت إلى ليبيا وبمرور الزمن أصبحت جزء من التركيبة السكانية لليبيا في العصر الحديث
6. معرفة اهم الجاليات الأوروبية في ليبيا خلال تلك الفترة وأثرها في البنية السكانية بليبيا.

وقسم البحث إلى فصل ومبحثان حيث تناول المبحث الأول الهجرات البشرية التي تعرضت لها البلاد الليبية وأثرها في التركيبة السكانية، أما المبحث الثاني فتناول الحديث عن التركيبة السكانية لليبيا وأثرها الاجتماعي (البربر–العرب –الزنوج–الجالية التركية، الجالية اليهودية)

حدود الدراسة: لقد حددت فترة البحث خلال العصر الحديث وهي دراسة تاريخية لكتابات الرحالة العرب والأوروبيين التي جاءت من خلال رحلاتهم إلى ليبيا.

منهج الدراسة: لقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي وذلك لدراسة مختلف الجوانب في ولاية طرابلس في تلك الفترة والتغيرات التي رافقتها حتى الوصول إلى أدق وأعم النتائج وذلك من خلال استعراضنا لكافة الجوانب التي تناولتها الرحلات.

المبحث الأول: الهجرات البشرية التي تعرضت لها البلاد الليبية، وأثرها في التركيبة السكانية.

تعرضت ليبيا عبر تاريخها للعديد منذ أقدم العصور إلى العديد من الحملات الاستعمارية حيث سيطرت عليها، وهذا بدوره ينعكس على التطور العرقي للسكان بها، فالغالبية العظمى من السكان في ليبيا يتكونون من العنصر العربي والسكان القدماء ونعني بهم البربر، أما بعض الأقليات فهي لا تمثل أية أهمية من حيث نفوذها، أو امتدادها، أو أثرها في التطور العرقي للسكان، وأن حدث كان في أضيق نطاق، ومن جانب آخر نشير إلى أن ليبيا قد تعرضت للعديد من الهجرات والحملات الاستعمارية حيث كان لها الأثر في البنية السكانية، ومن بين تلك الهجرات والحملات الفينيقيين، وهم عرب من شبه الجزيرة العربية وصلوا مع موجات الهجرة التي خرجت من شبه الجزيرة نحو الشام، وذلك عند منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وفي موجتين رئيستين، الأولى اتجهت إلى المناطق الداخلية، وقد عرفت تحت اسم العموريين، والثانية اتجهت إلى الساحل، وقد عرفت باسم الكنعانيين أو سكان الأرض المنخفضة، وكلمة فينيقي لم تظهر إلاّ بعد سنة 2500 سنة من استقرارهم، إلاّ أن الفينيقيين لم ينعموا بالاستقرار حيث واجهوا الزحف الأشوري عام 1110 ق.م على بلادهم، الأمر الذي دفعهم إلى الهجرة والاتجاه غرباً نحو سواحل منطقة الشمال الأفريقي، حيث كان استقرارهم في الطرف الغربي من ليبيا، وقاموا بتأسيس العديد من المراكز التجارية التي تحولت فيما بعد إلى مراكز حضارية مهمة كان لها دور بارز في التاريخ الحضاري وتاريخ الإنسان الليبي، وأسسوا العديد من المراكز التجارية الحضارية وسط الصحراء في فزان وما وراءها في وسط أفريقيا(احمد زكي، رحلة إلى الأندلس، ص 67، كذلك عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 305 – 306، كذلك تاريخنا، الكتاب الثاني، 232)(3)، أما الإغريق فهم من الهجرات التي قدمت إلى ليبيا، وهم من بلاد اليونان، حيث استقروا في القسم الشرقي منها وأسسوا العديد من المدن من بينها قورينا (شحات الحالية)، وتحولت فيما بعد إلى مراكز تجارية حضارية(أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911، ت، ص 30، كذلك عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 235 (4) كان لها دور حضاري بارز خلال تلك الفترة، وقد عرفت تلك المدن التي أسسوها بالمدن الخمس، وقد امتزج هؤلاء الإغريق مع سكان البلاد مما أسهم في تشكيل السكان(أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911، ت، ص 30، كذلك عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص

235(5). في تلك المنطقة، وورد الرومان على ليبيا بعد تدمير قرطاجة عام 146ميلادي، وقد نقل هؤلاء الرومان حضارتهم معهم مما ساهم وبشكل كبير في تطور البلاد وتقدمها الحضاري في مختلف المجالات، ومن هنا يمكن القول إن هذه العناصر الوافدة قد امتزجت مع شعبها وكونت شعباً واحدا (أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911 ص 30، كذلك عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 235 [6]، إن هذا الاختلاط والتمازج والتأثير السلالي الواسع المدى وخاصة في عهد الفينيقيين نتج عنه عنصر مشترك جديد في ليبيا، وربما في مختلف أنحاء المغرب العربي، وخاصة في تونس وليبيا، وعرف الجيل الناتج جراء الامتزاج بالفينيقيين الليبيين، إضافة إلى ذلك فإن تلك العناصر التي قدمت إلى ليبيا كانت متطورة فكريا واقتصادياً مما ساهم وبشكل كبير بتقدم البلاد وتطورها حضاريا(أحمد زكي، رحلة إلى الأندلس، ص 67 – 68[7]. أما الوندال فقد كان وصولهم إلى منطقة الشمال الإفريقي واستقرارهم في الأراضي الليبية بناءً على دعوة وجهت إليهم من قبل حاكم أفريقيا الذي كان على خلاف مع الإمبراطور الروماني من أجل مناصرته والدفاع معه حيث رحلوا بأكملهم من موطنهم الأصلي إلى الأراضي الليبية وذلك عام 429 ميلادي، وقد قدر عددهم بثمانين ألف، منهم اثنا عشر ألف مقاتل والبقية من النساء والرجال والأطفال، وقد اعتمدت سياستهم في طرابلس على القهر والاستعباد والظلم والقتل، كما عملوا على استقطاب القبائل الليبية لكسب ودهم حيث أشركوهم في ميدان القرصنة، ولكن سرعان ما تحول هذا الود إلى ثورة عارمة ضدهم وإلحاق الهزيمة بهم، وقد وكان تأثيرهم في الحياة الاجتماعية ضئيلا والسبب في ذلك هو روح العداء بين الطرفين(عبد اللطيف البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، ص 444 – 445. [8] أما الإسبان، فبعد سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس، وهي غرناطة عام 1492 م أخذ الإسبان في مهاجمة سواحل منطقة الشمال الأفريقي، التي كانت بها العديد من المراكز على طول امتداد الساحل، التي أنشأها المسلمين، حيث كانت محطات انطلاق لعملياتهم الجهادية ضد السفن الأوروبية وخاصة الإسبانية منها، إلا أن الإسبان لم يتمكنوا من تحقيق أهدافها، الأمر الذي جعلهم يقررون احتلال طرابلس، وجعلها مركزا متقدما لتحقيق أغراضهم، ونتيجة لهذه الرغبة أعدوا حملة عسكرية كبيرة عام 1510 ميلادي، وتمكنوا من خلالها احتلال طرابلس، إلاّ أن احتلالهم الذي لم يدم سوى عشرون سنة لم يمكنهم من فرض سيطرتهم وتحقيق نوعاً من التقارب مع الأهالي، والسبب في ذلك السياسة

التي اتبعوها في طرابلس والمبنية على القهر والظلم وروح العدا التي كانت يكنها الأهالي للإسبان حيث يعتبرونهم غزاة والذي بدوره جعلهم يعيشون بعيداً كل البعد عن أي اتصال أو تقارب مع الأهالي، وبالتالي لم يكن لهم أي تأثير يذكر في السكان، ويقدر عدد الإسبان في ولاية طرابلس مائة وخمسون أسرة موزعين على قسمين مائة أسرة بطرابلس وخمسون أسرة بمدينة بنغازي، غير أنه في الواقع أن هذه الجالية تتكون من يهود يتمتعون بالرعاية والحماية الإسبانية التي تقدم إليهم من خلال قناصل الأوروبيين(شارل فيرو، الحوليات الليبية، ص 73 وما بعدها، كذلك أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911، ص 166، كذلك انتوني كاكيا، ليبيا خلال الاحتلال العثماني 1835 – 1911،، ص 24[9]، والأتراك ثم الإيطاليين بالتالي يمكن إجمال عناصر السكان بليبيا في الفئات التالية: السكان القدماء والعرب والفاتحين والوافدين من أواسط القارة الإفريقية واليهود والمتهودين والأتراك والمماليك الأعلاج والمولدين إضافة إلى الجاليات الأوروبية. وقد كان لتلك الفئات الوافدة آثارها الاجتماعية الواضحة في السكان، وخير دليل على ذلك العثمانيون الذين قدموا إلى ليبيا ففئة الكورغلية تعد مثالاً واضحاً من مظاهره الاجتماعية، كذلك كان لهذه التطورات السياسية والاقتصادية والسياسية والإدارية أثرها في إفرازات فئات اجتماعية غير عريقة وليس لها أصل واحد حيث سخرت لخدمة الدولة وهي المخازنية الذين يتولون العمل الإداري المالي في الولاية آنذاك، إضافة إلى ما أشرنا إليه فإن هناك العديد من المزاعم من قبل الأوروبيين بشأن أصول السكان بمنطقة الشمال (أتوري روسي، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، ص 215 وما بعدها [10] الأفريقي التي تضم تونس وليبيا والمغرب والجزائر حيث عملوا على استغلال وتوظيف كل الظواهر سواء الجغرافية أو العرقية أو التاريخية أو البشرية لتحقيق أهدافهم وأغراضهم الاستعمارية المتمثلة في إلحاق ودمج هذه المنطقة إلى أوربا، والحجة لدى الأوروبيين أنهم هم الذين عمروا هذه المنطقة، وبالتالي لابد من إلحاق الفرع بالأصل(محمد المليلي، الجزائر والمسألة الثقافية، مدخل تاريخي،، ص 56[11]، وأشاروا إلى أن منطقة الشمال الأفريقي عبارة عن قطعة أوروبية مشدودة إلى أفريقيا، وأنها جزء من البلاد الأوروبية احتلها العرب واستعمروها في فترة من فترات التاريخ، ويعد ذلك قهراً وتعسفاً(المرجع السابق ص 56 [12].، ومن ثم ليس للعرب الحق فيها، وبالتالي تعود إلى أوروبا باعتبارها أملاك رومانية إضافة إلى ما أشرنا إليه أشاروا المؤرخين الأوروبيين العديد من النظريات بشأن أصل الليبيين

وانتمائهم العرقي منها ما يستند إلى الأصل العرقي ومنها ما يستند إلى أخبار أخذت من الثورات كالسامنية والحامية، ومنها أخذت من خلال علم الأنثروبولوجيا، وإجمالاً تهدف تلك النظريات إلى غرس التمزق والفرقة بين أبناء الأمة الواحدة . كذلك أشار الأوروبيين للنقوش الأثرية التي عثر عليها في الجزائر عن أصل السكان في منطقة الشمال الأفريقي، ومن بينها ليبيا حيث يكون عنصر السلت والوندال ذو البشرة البيضاء والعيون الزرقاء والشعر الأشقر إلاّ أن ذلك محض افتراء، فهذه الصفات موجودة من قبل في منطقة الشمال الأفريقي قبل آلاف السنين(محمد علي عيسى، اسم ليبيا، دلالته وظهور الليبيين القدماء على مسرح التاريخ، ص 95[13])، فالوندال تم طردهم نهائياً من الأراضي الليبية وبمساعدة البيزنطيين، أما العمال الذين استخدمتهم قرطاجة وروما فقد كانوا عدداً قليلاً، وبالتالي لم يتركوا لنا أي أثر يذكر ومن ثم كان افتراضهم غير صحيح، وادعاؤهم أن تلك المجموعات المهاجرة وصلت عن طريق جبل طارق،[4]، نؤكد بأنه لم يتم استعمال المضايق إلاّ خلال الألف الخامسة قبل الميلاد، ولم تتم أي هجرات إلاّ مع الألف الثانية قبل الميلاد (أحمد توفيق المدني، قرطاجة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، ص 14[14])، وبالتالي يمكن القول إن الدراسات الحديثة والمبنية على أسس علمية أثبتت أن سكان المغرب القديم يعودون في جذورهم التاريخية إلى منطقة شبه الجزيرة العربية والشام، ولا توجد صلة ولا علاقة بأوروبا بمنطقة الشمال الإفريقي، حيث أن هذه المنطقة كانت على صلة كبيرة بالمشرق العربي وقد كان الاتصال كبير ووثيق، ومن ثم انتقل الناس شرقاً وغرباً يجوبون وطناً واحداً ومنطقة واحدة من المحيط على الخليج إضافة إلى ما أشرنا إليه يمكن أن نقول أخيراً إن المصادر اللغوية والأثرية والأنثروبولوجيا تتفق على أن منطقة الشمال الأفريقي قد استوطنت من خلال هجرات بشرية عديدة حيث قدمت من بلاد الرافدين والشام ومناطق شبه الجزيرة العربية، وذلك منذ عصور ما قبل التاريخ، وهذه الهجرات لم تتوقف بل واصلت ورودها على المنطقة حتى العصور الوسطى، وبالتالي كونت سكان هذه المنطقة الموجودة اليوم، كما أن ابن خلدون أشار إلى أن سكان المغرب العربي يكون خليط من العمالقة وكنعان وحمير والقبط وقريش، وهذه المجموعات انعزلت عن الاتصال آلاف السنين من جعلها تحتفظ بسماتها التي جاءوا بها من موطنهم الأصلي منطقة الشرق الأدنى القديم (محمد علي عيسى، اسم ليبيا، دلالته وظهور الليبيين القدماء على مسرح التاريخ، ص 95 – 102 . [15]) ما نشير من جانب آخر إلى الهجرات الأندلسية

لليبيا كانت محدودة وقد استقرت في درنة حيث عمروها مما كان له تأثير كبير في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية بدرنة التي تعد ظاهرة مميزة في المجتمع الليبي. وقد أشار الرحالة العياشي إلى ذلك بقوله: (كانت خالية منذ أزمان إلى أن عمرها الأندلسيون قرب الأربعين وألف ولم يزالوا بها إلى أن بطروا فأنشبوا الحرب بينهم وبين أمير طرابلس فأخرجهم منها صاغرين بعد وقعة قتل فيها المئات من أشرافهم) (العياشي: الرحلة ماء الموائد، ص157)[16]. يشير العياشي إلى أن بنغازي ودرنة خالية من السكان إلى أن عمرتها الهجرات العربية التي قدمت من الأندلس بعد سقوط آخر معقل للمسلمين في غرناطة عام 1492 م غير أن تلك الهجرات تعرضت إلى إخراجها وهذا _في نظري_ كان بسبب فقدان الأهالي أرضهم إضافة إلى سو التعامل معهم من قبل الأندلسيين.

المبحث الثاني التركيبة السكانية لليبيا واثرها الاجتماعي: (البربر–العرب –الزنوج–الجالية التركية والأوروبية)

أولا –(ا) البربر (الأمازيغ) *يعتبر البربر السكان الأصليون لليبيا، وقد كان هؤلاء يقطنون المنطقة الممتدة ما بين الحدود المصرية شرقاً، وحتى المحيط الأطلسي غرباً أما في الأراضي الليبية فلم يكن تواجدهم إلا في المناطق البعيدة، والمنعزلة في الدواخل، والمناطق الجبلية التي تعد لهم مناطق استقرار، وأمن لهم (ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، ص143[17])، إن بعض المدن بليبيا والتي تقع على الساحل أو في الدواخل تعد من المناطق التي يسودها العنصر البربري حيث تعتبر تلك المناطق ذات استقرار وأمن لهم مثل مسلاته / يفرن / غريان / جنزور وهي تقع بإقليم طرابلس(اتورى روس: ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911،، ص 58–59–60[18]. تشير بعض المصادر إلى أن الأوضاع الاقتصادية، والسياسية التي تعرض لها البربر كان لها دور في دفعهم إلى النزوح من الحدود الشرقية المصرية إلى معظم بلاد المغرب العربي والاستقرار بها، ومن أهم تلك القبائل التي تمثل هؤلاء البربر قبائل زناتة، ومقلية، وهوارة، ولواتة، حيث استقرت زناتة، ومقلية، ولواتة في برقة أما هوارة فاستقرت في لبدة، ونفوسة، وصبراتة إلا أن بعض تلك القبائل لم يطل بها المقام في الأراضي الليبية حيث واصلت زحفها إلى المغرب العربي، والدليل على ذلك أن العرب عقب فتحهم لطرابلس لم يجدوا سوى لواته ونفوسه التي تعد من أكبر القبائل البربرية التي تسكن إقليم طرابلس(السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، الجزء الثاني،، ص 133 – 134 [19]، من جانب آخر نشير أن البربر هم سكان

المغرب العربي الأصليون غير أنه اختلفت الآراء من قبل الباحثين في إثبات موطنهم الأصلي الذي أتوا منه إلى المغرب العربي، فالبعض يرى أنهم أتوا من آسيا في عصر ما قبل التاريخ، ومنهم من يرى أنهم قدموا من أوروبا إلاّ أن أقدم المصادر تشير إلى أنهم كانوا يقطنون أرض فلسطين، وقد نزحوا منها بسبب زحف ملوك فارس على أرضهم فلسطين(المرجع السابق ص 134 [20]، أما الهجرة نفسها إلى منطقة الشمال الأفريقي فكانت بسبب النزاع بين بني حام وبني سام الأمر الذي أدى إلى هجرة بني حام إلى المغرب العربي، ويؤكد ابن خلدون هذا الرأي بشأن أصل البربر، وهو يعتبر من أدق المصادر في أصل البربر، حيث قال أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، وإن اسم أبيهم مازيغ(ابن خلدون، العبر والمبتدأ والخبر، المجلد السادس، ص 191 – 192، كذلك ابن عبد الحكيم، فتوح مصر وأخبارها،، ص 116(21)، وتشير بعض الآراء الأخرى إلى وجود صلة بين البربر والساميين مستندين في ذلك على التشابه الكبير والتقارب لغة البربر مع اللغات السامية، إضافة إلى التشابه في الصفات الجسمانية بين العنصرين، غير أن هذا التشابه يعود بالدرجة الأولى للتشابه بين المجموعتين الحامية والسامية، وبالتالي نقول إن الليبيين من الناحية اللغوية ينتمون إلى الحاميين، أما من حيث الناحية السببية يشبهون الشعوب التابعة للفرع الشرقي من الحاميين وخاصة جيرانهم المصريين(بسرى عبد الرزاق الجوهري، السلالات البشرية، الطبعة الأولى، ص 329[22]، وقبل الفتح الإسلامي كان البربر يمثلون مجموعتين البربر الحضر الذي يستقرون في المراكز العمرانية الساحلية، وبعض المناطق التي تتوفر فيها المياه وخاصة العيون والوديان، والبربر الرحل وهم الذين ينتقلون من مكان إلى مكان بحثا عن الغذاء لهم ولحيواناتهم وهؤلاء يستقرون في المناطق الداخلية، ومن جانب آخر قسم البربر إلى مجموعتين بعد الفتح الإسلامي البربر البرانس وهم الحضريين وماداغيس، وهذا الفرع هو الذي ينتسب إليه أصل البربر(السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ص 135 [23]، أما البرانس فهي تضم سبعة اجذام وهي ازداجه ومصمودة وأورية وعجيسة وكتامة وصنهاجة وأوريفة، أما بربر البتر وهم بنو ماداغيس فيضمهم أربعة أجذام (أوداسه ونفوسه وضريه وبنولو الأكبر) وقد انتشر البربر في المنطقة الممتدة من الحدود المصرية شرقاً حتى المغرب الأقصى غرباً، وتعتبر الرمادة أول موطن للبربر حيث يقطنها قومن من مزاتها والعديد من الأجناس الأخرى، ونجد أن البربر قد واصلوا انتشارهم في إقليم برقة حتى سرت حيث استقروا في تلك المنطقة وعمروها، وقد كانت

تضم العديد من البطون منها لواتها القبيلة البربرية(ابن خلدون، العبير والمبتدأ والخبر، المجلد السادس، ص 177 – 180.[24]، وبالتالي يمكن القول إن العنصر البربري قد غطى تلك المنطقة الممتدة من الحدود المصرية حتى المغرب الأقصى، ومن ثم شكّل العنصر الساسي للسكان **وقد أكد ابن خرداذبه ذلك بقوله** (المنطقة التي تقع بين طرابلس وقابس يقطنها قوم من البربر من زناته ولواته والأفارقة الأوائل، وعلى الرغم من وجود العنصر البربري، والعربي في ليبيا إلا أن الامتزاج العرقي بين العنصرين كان ضعيفاً وذلك حتى القرن الثاني عشر الميلادي ولم يظهر بشكل واضح إلا عند القرن الثالث عشر الميلادي(صالح مفتاح، ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، ص 170 – 173[25]، ونشير إلى أن العديد من المناطق في ليبيا مازال بها بربر أصليون محافظون على أصولهم البربرية، ومن تلك المناطق زوارة، مسكونة، غدامس، أوجله جبل نفوسة، وهناك مناطق يقطنها البربر قد تعربت بالكامل وفقدت العديد من عاداتها وكذلك لغتها وقد اطلق عليهم من قبل العديد من الباحثين وبالعرب البربر وهم فرعين الفرع الأول ينتمى إلى المدغيز حيث يقطنون غريان وسهل الجفارة، أما الفرع الثاني فينتمى إلى صنهاجة وهوارة منها الزاوية جنزور ككلة وغريان وطرابلس بنى وليد ككله كما يوجد بربر أصليون في العديد من مناطق ليبيا في جبل نفوسه وزواره وفى بعض الواحات الليبية منها أوجله وغدامس وسوكنه وقد انسجم البربر والعرب بعد اندماجهم من خلال العلاقات الاجتماعية. وتشير العديد من المصادر أنهم من جنس واحد وأصل واحد، فالبربر ليسوا إلاّ أمة يمنية عادية قحطانية كما يؤكد النسابة، وهؤلاء قد نزحوا إلى المغرب العربي الكبير والسودان والأندلس والعديد من جزر البحر المتوسط، ومن جانب آخر تشير بعض المصادر إلى أن البربر أمة عربية الأصل واندمجوا مع الفينيقيين، وهم العرب المستعربة في القدم ومع بني هلال وبني سليم الماضي القريب وأقبلوا على الإسلام مما جعلهم يقدمون على العرب، وجعل العرب يندمجون مع البربر حيث امتزجت الدماء العربية من جديد على الأرض الليبية، وهذه الحقيقة التاريخية لاتزال تعيش في المجتمع الليبي فسواء من اللذين يتحدثون العربية أو البربرية فإنهم لا يشعرون إلاّ بأنهم مجتمع واحد(سالم علي الحجاجي: ليبيا الجديدة، ص124.25. (26). أما في المناطق الجنوبية من ليبيا فإن العديد من الأجناس تسكن تلك الأماكن من بينهم قبائل التبو في سبها وسوكنه والكفرة (سالم علي الحجاجي: ليبيا الجديدة، ص124.25. [27].

ثانيا_ (ب). التبو : وهم الذين يتمتعون بالبشرة السمراء ويسكنون جنوب برقة وفزان من المرجح أنهم ينتمون إلى سكان الصحراء القدماء فقد وصفهم المؤرخ هيردوت بالعديد من الصفات منها السرعة وغيرها وأنهم يتكلمون لغة (كزعيق الخفافيش) وأنهم يتميزون بالقدرة على تحمل المشاق وغيرها من الصفات، وينقسم التبو إلى ثلاثة طبقات، وقد اشتق اسمهم حسب آراء بعض الباحثين والرحالة الأوروبيين من كلمة Tu، ويشير آخرون أنها مشتقة من كلمة تبو أو تبّو حيث تكون مشتقة من كلمة تبدأ، أما أصلهم فيشير رولفس إلى أن التبو يعتبرون من العرق الأسود وهم أقرباء من الكنوريين وقد جاء رأيه من خلال المقارنة التي وضعها لهذين الشعبين ومن خلال دراسة عادات وتقاليد كلاً منهم، حيث وجدها قريبة من بعضها أكثر من القرابة بين البربر والتبو، إلاّ أن العالم فايتس يعتبر التبو شعباً خليطاً من العديد من الأجناس(عماد الدين غانم، رحلة رولفس إلى ليبيا، ص 365 – 367[28]، بين رولفس العديد من النقاط التي تبين وتحدد أصل التبو حيث أشار بأن التبو هم نفس الشعب الذي كان يطلق عليه المؤلفون القدماء اسم الجرمنت، وأن التبو الحاليين جزء منه، وأن لغتهم قريبة من الكنورية(.المصدر السابق، ص 370 [29]. ما المناطق التي يقطنها التبو **فقد أشار رولفس إليها بقوله:** (أن منطقة سكن التبو تمتد من جنوب فزان حتى شمالي بحيرة تشاد وإلى الشرق من كاوار وتدخل واحة كاوار في إطارهم إلى الغرب ما يدعى بالصحراء الليبية، وقد اعتنقوا الإسلام من خلال الدعاة والزوايا الصوفية التي أنشئت في العديد من المناطق وخاصة الزوايا السنوسية) لمصدر نفسه، ص 370 . 371 [30] **ويقسم التبو إلى ثلاث طبقات بقوله:** (وينقسم الشعب حسب المكانة الاجتماعية إلى ثلاثة طبقات وتشكل الطبقة الأولى المينا وتعني النبلاء من هؤلاء يختارون من السلاطين وللمينا المكانة نفسها التي للشرفاء والمرابطين إلاّ أنهم لا يتمتعون بنفوذ (المصدر نفسه، ص 370. 371 (31) واسع مثل هؤلاء إذ ترتبط لدى هؤلاء النبلاء من الولادة هالة دينية، أما الطبقة الثانية فتشكل بقية الشعب فيما عدا عصبية طوبة ودوني وهذا يعني الحدادين الذين يصنعون الأسلحة وهؤلاء يشكلون لأنفسهم طبقة ثالثة أنهم مثل اليهود في مراكش يعيشون منفصلين تماماً عن بقية الشعب ولا يرتبطون معهم مطلقاً بعلاقات الزواج، ومن ناحية يتمتعون بشيء من النفوذ ولو أنهم محتقرون من الأعالي في حالات (....) وما من تبو يسمح لنفسه أن يأكل مع حداد في وعاء واحد أو ينام معه تحت سقف واحد أو يتزوج منه) عماد الدين غانم، رحلة رولفس إلى ليبيا، ص 365 –

367[32]، الطوارق: يعتبر الطوارق العنصر الثالث الذي يتكون منه السكان في ليبيا وهم يقطنون المناطق الجنوبية من البلاد، وهؤلاء الطوارق هم فرع من البربر القدماء الذين اندفعوا نحو الجنوب بسبب الضغط الذي نزل عليهم من قبل بربر آخرين أكثر قوة، والطوارق قوام رحل ينتقلون ن مكان إلى مكان حيث ينتشرون في المناطق الواقعة جنوب الجزائر وعلى الأخص جبال الهوجار وتاسيلي كذلك في المناطق الحدودية من ليبيا وتشاد والنيجر ومالي وهم يعيشون كرحل أو أشباه رحل، وبالتالي لم يكن لهم أي تأثير سياسي ولا اقتصادي، ومن جانب آخر تشير بعض المصادر أن أصل الطوارق هو كأصل إخوانهم البربر إلاّ أن ذلك لايزال يحير العديد من المؤرخين في معرفة أصل الطوارق، وقد أشار ابن خلدون للطوارق بقوله: (إن هؤلاء القوم كانوا يعيشون في بلاد الشام، وأنهم كانوا يعبدون الشمس وينحدرون من (مازغ) من كنعان من حام بن نوح، وينقسمون إلى فرعين ويضم كل فرع عدد من القبائل وهذان الفرعان هما البربر والطوارق) كما يشير بعض المؤرخين أن بعض الطوارق كانوا يعيشون في شبه الجزيرة العربية، ثم رحلوا إلى الحبشة ووادي النيل ومنطقة الشمال الأفريقي عبر مضيق باب المندب، وأشاروا أيضاً ظهور العديد من النقوش تحمل أسماء بربرية مثل (برابرة وبرايانا وليبو) أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911، ص 14 – 15، (33) كما يربط بعض المؤرخين الآخرين الطوارق بالأجناس الأوروبية القديمة من قبل الأبيريين، ومنهم من يقول إن هذا العنصر انتشر داخل أفريقيا قبل عصر المعادن، وأن قبيلة زناتة قد ظهرت في العهد الروماني وانتشرت كقبيلة بربرية تتنقل وسط الصحراء وذلك قبل الفتح العربي لليبيا، والطوارق كانوا يمثلون القوة والسطوة والسيطرة والحكم في المناطق التي يستقرون فيها، والطوارق منهم من حافظ على نقاوته ولم يختلط بغيره، ومنهم من اختلط بغيره من الشعوب الأفريقية وبالرغم من ذلك ظلوا متمسكين بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، ونشير إلى أن الطوارق ينتسبون إلى أربعة طبقات، طبقة (الأمفوكالن) أي السلاطين وطبقة الأهكار أي النبلاء الأمراء وطبقة الأمفاون أي الأتباع وطبقة الأكسلان أي العبيد، غير أن أبناء الطبقة الأولى والثانية هم الطوارق الحقيقيون حيث ينحدرون من أم نبيلة دون النظر إلى الطبقة التي ينتمي لها الأب أما الطبقة الثالثة عبيد الذين أعتقهم أسيادهم وتحصلوا على حريتهم إلاّ أنهم ظلوا أتباع أو موالى لهم ويطلقون عليهم أحياناً (أدرفن)، أما العبيد فهم العناصر التي أسرها الطوارق من العديد من المناطق وخاصة المجاورة لهم أو من أماكن بعيدة وخاصة

الأفريقية، ويستخدمون هؤلاء في القيام بمختلف الأعمال التي يطلبها منهم أسيادهم (أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911، ص 14 – 15 (34)، إضافة إلى ما أشرنا إليه فقد اختلفت الآراء حول تسمية الطوارق فبعضهم يشير إلى أن هذه التسمية جاءت بسبب تركهم طرق الهداية، ومنهم من قال سببها ضربهم بالصحراء وتوغلهم بها، ومنهم من قال نسبة إلى طارق بن زياد، غير أن أحد الباحثين قد أشار إلى أن الطوارق خلال العصور الوسطى كانوا يعرفون من بين العديد من القبائل تحت اسم (امجلماس)، وبعد انتشار الإسلام ترجمة هذه الكلمة إلى العربية فعرفوا باسم (الملثمون)، وبالتالي أصبحت مصطلحاً يطلق على قبائل البربر القاطنين الصحراء الكبرى، حيث كانوا يضعون العمائم على رؤوسهم، وأطلق اسم الطوارق أيضاً خلال العصور الوسطى على القبائل التي تسكن منطقة (أواع) الواقعة بجوار ممالك السونغاي والهوسا، ونذكر من جانب آخر أنه كانت تطلق(المصدر السابق، ص 15 16 (35) خلال تلك الفترة كلمة التوارك أو التوارق، غير أننا نشير بأن كلمة الطوارق يحتمل أن تكون قد اشتقت من اسم الوادي الذي تقطن فيه قبائل الملثمين والقبائل المغربية من المدن المغربية الشمالية في وادي درعة والواقع جنوب مراكش حيث كان يطلق عليه باللغة التارقية (شاركاً) أو الذي يعطي معنى الوادي أو مجرى النهر تاركاً أو تارك .وعلى العموم فقد استبدلت ت ط وبالتالي كانت الطوارق الذين يسمون أنفسهم أمازغن.

وقد عرف الطوراق في غدامس ومرزق تحت اسم تمنفت حيث يطلقون أيضاً اسم ايموها غ التي أصلها الموزاغ والجمع أمازيغ، وبالتالي اختلفت الألفاظ التي تطلق على الطوارق حيث اختلفت حسب وجود هؤلاء في كل دولة أو مدينة يطلق عليهم اسماً إلاّ أنهم يطلق عليهم الطوارق(محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى،، ص 27، 28 [36] إضافة إلى ما أشرنا إليه نقول إن الطوارق ينتشرون في الصحراء الكبرى، وذلك من حدود جمهورية مالي الشمالية الغربية وذلك مع دولة موريتانيا وحتى حدود السودان مروراً بشمال مالي وشمال النيجر وشمال تشاد وجنوب غربي ليبيا وجنوب وشرق الجزائر إضافة إلى ذلك تنتشر العديد من المجموعات من الطوارق ذات أهمية كبيرة ببوركينا فاسو ونجيريا من حيث يمكن القول أن وسط الصحراء الكبرى من غدامس ودرج في ليبيا وأوباري وغات إلى تمتقت بالجزائر وجايت وبرج المختار على الحدود مع مالي إلى تمبكتو بمالي وإلى جاوة بالنيجر وحتى بسيرة تشاد وشرقها(عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى،، ص

162[37]، ولم يكن هذا موطن الطوارق في الأصل فقد أدت العديد من العوامل إلى تزحزحهم من الشمال إلى الجنوب داخل الصحراء بحثاً عن الأمن والاستقرار، وهرباً من الزحف العسكري الروماني، وبالتالي ترك الطوارق موطنهم الأصلي في الشمال وآثارهم وأسمائهم التي أطلقوها على العديد من المدن، والدليل على ذلك وجود العديد من المدن بالساحل تحمل أسماء تارقية منها مدينة ورقلة حيث شمل هذه المدينة اسم تارقي ومعناه المكان المرتفع، ولايزال هذا الاسم يطلق على المدينة حتى اليوم، ومدينة (تفرمين) بلدة الزنتان حيث إن هذا الاسم تارقي ومعناه (القرى) حيث تضم المدينة مجموعة من القرى أو القصور(فريدريك هورنمان الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797 ص18 (38).القديمة ورقدالين الواقعة جنوب مدينة زوارة ومعناها الوادي الأخضر وتغرنه ونفسات وطمزين وسوف الجين الوادي الواقع بمنطقة بني وليد وادي الجين وتاورغاء الواقعة شرق مدينة مصراتة التي معناها بالتارقية الساقية، ويمكن القول إن وجود هذه الأسماء تدل دلالة واضحة على وجود الطوارق في تلك المناطق عبر فترات التاريخ(فريدريك هورنمان الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797 ص 18 [39]. إضافة إلى ذلك نجد أعدادا هائلة من الطوارق وهم في المنطقة الممتدة جنوب الجزائر وخاصة في جبال الهوجار وتاسيلي ويعد هؤلاء فرع من البربر القدماء وقد انتقلوا إلى تلك المناطق بسبب الضغوطات التي واجهوها من قبل بربر آخرين الذي بدوره دفعهم إلى النزوح في اتجاه الجنوب هرباً من الغزاة الذين سيطروا على منطقة الشمال الأفريقي، وقد عرَّف كراوزه الطوارق الذين يقطنون المناطق الجنوبية من القطر الليبي، وذلك من خلال شهادة أوردها عند مروره(عماد الدين غانم الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة، ص74(40). بالمنطقة في أواخر القرن التاسع عشر بقوله: (ما يعرف بالطوارق ذلك الشعب الذي يقطن الجزء الغربي من القطاع الأوسط للصحراء الكبرى وهم يشكلون قبيلة كبرى من قبائل البربر التي تنتمي إلى الفرع الحامي السامي، وتمتد المنطقة التي يقطها البربر حتى سيوه واحة الآلهة جوتير أمون شرقاً وحتى البحر المتوسط شمالاً وحتى المحيط الأطلسي غرباً وبلاد السودان جنوباً وفي هذه المنطقة الشاسعة لا يعيشون (فريدريك هورنمان الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797،، ص 18 [41]. وحدهم بل هم مثل جزر في وسط محيط تقطنه القبائل العربية المستعربة ومنطقة الطوارق الوحيدة الخالية من عناصر أخرى، أو أنها كانت تحتفظ على الدوام باليد العليا تجاه

الآخرين حتى أن أغادس التي أسسها صنغاي ما زالت حتى الآن طارقية) عماد الدين غانم الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الإلماني غوتلوب أدولف كراوزة ص74.[42]، ومن جانب آخر بيَّن كراوزه المنطقة بالتحديد التي يسكنها الطوارق بقوله : (يسكن طوارق الشمال مناطق جبلية عالية لم تطأ دواخلها قدم أوربي بعد ومناطق متاخمة لها تشكل في غالبيتها من الرمال) المصدر السابق، ص74 [5]، كما يعطي كراوزه صورة أخرى للطوارق وتقسيمهم السياسي بقوله: (وينقسم الطوارق سياسياً إلى مجموعتين من الاتحاد القبلي للأهقار في الغرب والأزقر والأزير في الشرق ويطلق على السفح الشمالي الشرقي للأزقر اسم عام وهو تاسيلي) عماد الدين غانم الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزة ص74. [43] كما بين الطبقات التي يتكون منها **الطوارق بقوله** (وتقوم الطوارق من ثلاث طبقات من القبائل قبائل نبية وهي الأهقار وقبائل الموالي وهم طلاكاون وقبائل الرقيق وهم أحفاد، وهذه الطبقات الثلاثة لها أرقاؤها الأكيلان وهو ليسوا من الطوارق ولا يحمل شعار القبيلة أو شعار خاص سوى النبلاء أو الموالي من كانوا نبلاء في السابق [ ] حيث يحمل الأرقاء شعار سيدهم (إن المجموعتين الكبيرتين من الطوارق الأهقار والأزقر تتكون من مجموعة أكبر من القبائل، ويقوم على رأس كل قبيلة شيخ يدعى في الطارقية أمضارولي الهاوسا هو قواد بابا وهذا أبدى الكبير وبدي الرئيسي العام لاتحاد مجموعة القبائل ملكاً بالطارقية امنوكال) المصدر نفسه، ص75-78.[44]، وقال أيضاً (ويعتبر كيل خاله تيتوك أهم وأقوى قبائل الأهقار لأهقار امتوكال وإن اسم الملك الحالي هو احتيفل أو هيتفل، وإن قبيلة الزوراغين والأمنفستن هما أقوى وأهم قبائل الأزقروان وزعيم الأوراغين الأهقار هو في الوقت ذاته ملك امتوكال مجموعة قبائل الأزقر وهو حالياً أخنوخن) المصدر نفسه، ص75-78 [45]. كما وضح كراوزة الوضع السياسي لهذه المدينة خلال تلك الفترة بقوله (على الرغم من أن سكان غات من طوارق الأزقر إلا أنهم لم يخضعوا أبداً لملك تلك المنطقة بل كان لهم ملكهم الخاص مثلهم) عماد الدين غانم الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الإلماني غوتلوب أدولف كراوزة ص76 [46] أما **الرحالة مؤيد العظم فأشار هو الآخر إلى الطوارق بقوله:** (تتكون هذه الجماعات من عدة قبائل، ويقدر عدد سكانها بمليون نسمة ويسكن بعضهم المناطق الغربية من سنجق فزان، ويسكن فرق منهم تدعى الأزقر مرزق ويقدر عدد نفوسهم بعشرين ألف نسمة، وفي المناطق الغربية من الصحراء الكبرى تقطن فرق أخرى تدعى هقار، ويبلغ

تعدادها أربعين ألف نسمة تقريباً، وتقطن اجر فرق أخرى تعدادها خمسمائة ألف نسمة تقريباً، ويطلق عليهم فرق ازبيد) مؤيد العظم: رحلة الصحراء الكبرى بأفريقيا،،، ص126. [47]. إضافة إلى ذلك نشير إلى وجود عناصر بشرية أخرى جاءت إلى ليبيا خلال فترات زمنية متعاقبة، وإن لم يكن لها أي تأثير في التركيبة السكانية بالرغم من المدة الطويلة التي استقروا فيها حيث لم يتركوا إلا آثارهم وبعضا من سلالتهم، وهذا راجع إلى عدم وجود أي اختلاط مع السكان الأصليين، وراجع لاعتبار السكان الأصليين هذه العناصر غريبة عليهم، ومغتصبين لأرضهم لا يمكن التعامل والامتزاج بها.

ثانيا العنصر العربي*: يمثل هذا العنصر عرب قبل الإسلام، وعرب بعد الإسلام، وقد تعرضت الأراضي الليبية، وخاصة المناطق الشرقية والغربية، والوسطى إلى هجرة العديد من القبائل العربية، وهي قبائل بني هلال، وبني سليم، وبأعداد هائلة وهما قبلتان بدويتان وذلك في القرن الخامس الهجري على يد الفاطميين وقد توزعت أفخاذها وفروعها في أماكن عديد سواء في إقليم برقة أو إقليم طرابلس مما أدى إلى اندماجها مع القبائل البربرية التي كانت تشكل المجتمع خلال تلك الفترة في ليبيا مما كان له أثر في تكوينه، وقد ساعد في هذا الاندماج وجود الدين الإسلامي الذي اعتنقه سكان البربر والعرب إضافة إلى وجود لغة العربية وهي لغة دين وحضارة وفكر استطاعت أن تكون صلة وصل بين الفكر والإنسان، إن هذه الهجرات كانت لها أهمية كبيرة في تاريخ المنطقة حيث جلبت إلى منطقة المغرب العربي عنصر قويا وكبيرا بين العرب الذي كان له أثر واضح في تعديل التكوين السلالي والوضع اللغوي في المنطقة وفي القبائل تحسب عن البربر تعيش في مختلف مناطق ليبيا خاصة قرب طرابلس وفي الجبال المشرفة عليها وتتحدث البربرية، وتوجد قبائل بربرية تعربت موزعة على مختلف أنحاء البلاد، وقبائل عربية معروفة موزعة هي أيضا على مختلف أنحاء البلاد وغيرها، ونشعر بهذه الطائفة في ليبيا كما نشعر بها في دول المغرب العربي وخاصة المغرب والجزائر، ومن هنا يمكن القول إن شعب ليبيا كسائر شعوب الأرض لا يمكن أن ينتمي على عنصر واحد من السكان بل يتكون من العديد من العناصر، وهذا كان له دورٌ في نزوح السكان الأصليين نحو الغرب، والجنوب بحثاً عن الأمن والاستقرار مما أدى إلى تكوين العديد من القرى السكانية حيث بلغت مائة (أتوري روسي ليبيا من الفتح العربي حتى 1911 ص 96 [48]، وثلاثين قرية، تحولت فيما بعد إلى مراكز عمرانية يمارس السكان حياتهم فيها من خلال نشاطاتهم المختلفة(اتورى روس، طرابلس تحت

حكم الإسبان، ص20.[1]. أما المناطق الجنوبية وخاصة فزان والواحات التي يسودها العنصر البربري فعلى الرغم من الامتزاج مع العنصر العربي فمازالت على خصوصيتها العرقية والاجتماعية إلا أنها استطاعت أن تحقق التعايش مع العديد من القبائل العربية التي استقرت في موطنها الأصلي في المناطق الشرقية والوسطى والغربية ويرجع ذلك الوضع إلى بعدها عن مراكز التطور الحضاري في الشمال (حسن الوزان: وصف أفريقيا، الطبقة الثانية (ج 2) ص 106 .146، 147 [49]. إن العنصر العربي الذي ساد في ليبيا استطاع الحفاظ على أصوله العربية معتمداً على نمط الحياة القبلية وإنشاء العديد من المراكز العمرانية **فهذا الوزان يورد شهادة يؤكد فيها ذلك بقوله** (كانت خالية من السكان قبل دخول العرب إليها (المصدر السابق ص 106 . ص146، 147 [50]، غير أن العرب الذين يقطنون تلك المناطق كانوا خطراً على غيرهم من السكان وخاصة المارين بمناطقهم وقد أكد العياشي في شهادته قدمها عند زيارته لليبيا في أوائل القرن السابع عشر بقوله أن لم تجدوا عسكر طرابلس هنالك فلا تأمنوا أولئك الأعراب (العياشي: الرحلة ماء الموائد، ص 68 [51] **أما الرحالة اليوسى فهو الآخر يورد شهادة يؤكد فيها ذلك بقوله:** (خذوا غاية الحذر وهذه المسالك فأنها بلاد الخيل ومحل الغارات(اليوسى: الرحلة، ص421.[52]، وقال وترى الأعراب كالذئاب الضارية من قبضوه جردوه) المصدر السابق: ص421.[53]. ونشير من جانب آخر إلى أن العديد من الرحالة، والمؤرخين الذين تحدثوا عن المناطق التي يسود فيها العرب والبربر يؤكدون أن المناطق الساحلية، والسهول، والمرتفعات الجبلية هي أماكن استقرارهم يمارسون فيها حياتهم العامة. أما الرحالة جون فرنسيس الليون فأشار إلى سكان طرابلس وعددهم بقوله: (إن سكان طرابلس نوعان من العرب عرب المدن الذين يسكنون المدن، وعرب البادية الذين يسكنون الضواحي (جون فرنسي الليون الرحلة من طرابلس إلى فزان 1818، ص20 [54]. **أما أدوار ريا فقد أشار إلى سكان طرابلس بقوله** (سكان طرابلس خلال القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر يقدر بمئتين وخمسة وعشرون وخمسة عشر ألفاً) أدوار ريا: المغرب العربي في القرن التاسع عشر البدة طرابلس القيروان ص37 كذلك الحشائشي، الرحلة، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، ص37. [55]، غير أننا نقول إن هذا العدد لا يمكن أن يكون دقيقاً فالظروف الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسة التي تعرضت لها البلاد خلال فترات زمنية متعاقبة كان لها أكبر الأثر في التغير الكمي في عدد السكان بمدينة طرابلس. **وهذا**

الرحالة الحشائشى في أوائل القرن العشرين يشير إلى عدد سكان طرابلس ولكن بدون أن يوضح عدد السكان بها بقوله: (إن أهل طرابلس غالبيتهم من البرابرة، وطباعهم تمثل البداوة، أكثر من الحضارة، وهم على كمال بشري في أنفسهم وغالبهم يميلون إلى التجارة فلهم متاجر مع أهل السودان في بدير ووادى والتشاد وغات (محمد عثمان الحشائشي، الرحلة، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، ص37.. [56]. **أما الرحالة بانزه تحدث عن سكان طرابلس بقوله:** (يتكون سكان طرابلس من البربر، وهم الذين يتميزون بلون البشرة السمراء، والعرب) أفالد بانزه، الرحلة،، ص48[57]. أما منطقة برقة وهي تمثل الجزء الشرقي **من ليبيا فأشار إليها الحشائشي بقوله:** (أهلها عرب بادية سموا أنفسهم إلى عرب المحاميد بوطن طرابلس) محمد عثمان الحشائشي، الرحلة، جلاء الكرب عن طرابلس الغرب، ص37 [58]. وقال: (برقة تسكنها قبائل كثيرة من العرب فيهم التمامة وأولاد سليمان والمياميس، والشريدات، والهوات، والسهب والقذافة والعمارة والتهامة) المصدر السابق، ص136[59].

ثالثا. الزنوج : ويعتبر هذا العنصر من أهم الأقليات التي تعيش في إقليم طرابلس وأن معظم هؤلاء قد أتوا من موطنهم الأصلي وسط القارة الأفريقية، وخاصة مناطق باجرجي، ووادي، ويركوا، والجدير بالذكر أن هذا العنصر قد كان له العديد من التصنيفات، ومن بينها العبيد، والشواشنة، والمعاتيق،، والحران سالم الحجاجي، ليبيا الجديدة، ص133 [60] والأحرار. ويعتبر الزنوج من أهم الأقليات وكذلك الزنجانيون الذين كانوا في الأصل من العبيد الذين تم إحضارهم من مختلف دول القارة وخاصة من وسطها وبالتحديد من كانو المرجع السابق ص 134 (61).وبرنو وبارجرجي وواداي وبركو، إلاّ أن هؤلاء بمرور الزمن تحصلوا على حريتهم بعد عتقهم مما مكن العديد منهم العيش في المراكز العمرانية الساحلية يمارسون حياة طبيعية حنباً إلى جنب مع غيرهم من السكان، أما الذين يعيشون في الدواخل فمازالوا بعيدين عن الاندماج بالسكان، ويعتبرونهم مجموعات متخلفة(سالم الحجاجي، ليبيا الجديدة، ص133 [62].إلاّ أنه يمكن القول أن هؤلاء الزنوج سواء في المراكز الساحلية أو الداخلية يتمتعون بكل سبل العيش والحياة الكريمة، فقد وصل العديد منهم إلى مراكز عالية في الإدارة وأصبح العديد منهم من كبار الأغنياء، وهذا مرجعه إلى التسامح الديني الذي كان موجوداً والعقيدة الإسلامية التي لا تفرق بسبب الجنس أو اللون بل سواسية أخوة متحابون، وهذا بدوره جعل أولئك الزنوج ينعمون مثل غيرهم بالحياة الكريمة في إطار مجتمع واحد(المرجع السابق، ص 134 (63).

رابعا: الجاليات التركية: وقعت ليبيا تحت السيطرة العثمانية عام 1551م واستمرت أكثر من أربعة قرون ونصف وحتى 1911 وهذه المدة الطويلة وكان لها الأثر الكبير في التركيبة السكانية للبلاد فبعد خروجهم تركوا آثاراً عرقية بين الليبيين، وقد شملت هذه الجالية على ثلاثة طوائف الأولى الكولوغلية والثانية طائفة الرياس والثالثة الانكشارية فالطائفة الأولى وهي الكولوغلية وقد تكونت من أب تركي وأم ليبية وقد برز هذا الفصيل كأحد العناصر الفاعلة في سياسة طرابلس من خلال دعمة للعديد من الثورات والانتفاضات التي قامت على امتداد القرن السادس عشر والسابع عشر الميلاد التي استمرت في مطلع القرن الثامن عشر بوصول أحد أفرادها إلى سدة الحكم في طرابلس هو بك محمد باي الكولوغلي الذي كان يدعوا ابن الحسن عام 1709 م وقد برز أيضاً قادة آخرون من هذا العنصر إبراهيم مصواد علي وحسن قبطان ونجدهم من القادة الذين تولوا السلطة في طرابلس إلا أنه واجهتهم من العديد من الانتفاضات والثورات مما أدى إلى حدوث صراع عنيف ومدمر على السلطة في ولاية طرابلس وقد ساد هذا العنصر العديد من المناطق في ليبيا وخاصة مدينة طرابلس(شارل فيرو الحوليات الليبية، ص 184- 1911 – 195 (64) وبعض المدن الأخرى مثل الزاوية جنزوز تاجوراء مصراته والخمس وبنغازي ودرنه أما المناطق الداخلية كان نادر لعدم وجود استقرار العثماني في تلك المناطق(شارل فيرو الحوليات الليبية ، ص 184- 1911 – 195[65]، ويقدر الرحالة أدوار دريا وهؤلاء بألفيين قورغلي خلال القرن الثامن عشر(أدوار دريا الرحالة ص 37 [66]. وقد كان القولوغلية يشكلون طبقة في طرابلس، ويمارسون أعمالهم المختلفة، وإن كانت بعضها إدارية وعسكرية وذلك وفق مراسم يصدرها السلطان العثماني، وهذا بدوره قد مكن العثمانيين من تثبيت نظام الحكم في ولاية طرابلس الغرب (تاريخ القوات المسلحة التركية الدور العثماني الحرب العثمانية الإيطالية 1911م-1912م، ص64 [67]. أما طائفة الرياس فتتكون من أجناس متعددة حيث ضمت عناصر إيطالية وإسبانية ومالطية ويونانية وألبانية وغيرهما من الأجناس الأوربية حيث اعتنقت الإسلام وانضمت إلى الجيش العثماني وأصبحت في خدمة الإمبراطورية العثمانية وقد ترقي العديد من أفرادها في الجيش العثماني وأصبحوا رياس لهم شانهم مثل دورغوت باشا (1553 م – 1563 م) وهذه الطائفة ذات الأصول المسيحية عرفت بالطغيان وخاصة ذوي الأصول البلقانية (المرجع السابق ص64 (4)..غير أننا نلاحظ تغيراً على هذه الطائفة فقد تخلت عن عملها البحري واتجهت إلى

العمل السياسي نتيجة للتغيرات السياسية الواقعة في الولاية وذلك من خلال تعاونها مع طائفة الانكشارية وهذا بدوره قد مكن هذه الطائف وغايتها ومن القيام بدور بارز في سياسية الولاية حيث أصبحت المتمسكة في مقاليد الأمور بها من خلال سيطرتها على أهم المناصب في الولاية(جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير،، 1981 ص 58 [68]،.كما أشار الرحالة بانزه إلى هذا العنصر التركي الذي يشكل جزءاً من السكان في ليبيا بقوله: هناك الأتراك القدماء والأتراك الفتيان الذين يتكون منهما سكان المدينة والأتراك ليسوا كثيراً فهم جماعة من العسكريين والموظفين المدنيين الذين يشتغلون في المناصب العليا، والقسم الأعظم منهم من العساكر وهم من الناطقين بالعربية، وهم بصورة رئيسة من الشام(بانزه: الرحلة، ص86. [69] وينحدر القرمانليون هؤلاء من الجند الانكشارية المسلمين والذين جاءوا من مختلف الولايات العثمانية الأوروبية والأسيوية، وتحت إشراف الحكومة العثمانية حيث استقروا في طرابلس وبعض المدن الليبية الساحلية على طول امتداد الساحل الليبي وخاصة (طرابلس، بنغازي، مصراتة، الزاوية) حيث تزوجوا بنساء ليبيات وكونوا تجمعات بشرية في تلك المدن وقد ساعدتهم رعاية الدولة العثمانية لهم حيث وفرت لهم كل السبل حتى ظهر منهم القادة والإداريين وأصبح لهم شأن كبير في الولاية، وتمتع هؤلاء بمستوى معيشي مترف، وتولوا العديد من الإدارات الحكومية والمؤسسات المهمة في الولاية الأمر الذي جعلهم يسيطرون على مقاليد الحكم في طرابلس والذي مكنهم في آخر الأمر من تحقيق سيطرتهم وحكم الولاية أكثر من قرن(سالم الحاجي، ليبيا الجديدة، 132 / 133 (70) وتشير بعض المصادر الأخرى إلى أن القرامنليين ينتمون إلى مدينة قرامان في الأناضول بتركيا وقد جاء مؤسس هذه الآسرة إلى ولاية طرابلس الغرب وقد استقر في مدينة طرابلس. وقد استطاع أن يستحوذ على العديد من الأراضي الزراعية وخاصة في حي المنشية المنطقة المجاورة لمدينة طرابلس ونتيجة للتطور الاجتماعي أصبحت هذه الأسرة وعلى رأسها من الرجل ذات عصبة قوية وخاصة بعد أن تمت العديد من المصاهرات مع الأسر الليبية، وقد تمكن يوسف باشا إلى مرتبة باشا آغا الفرسان في منطقة الساحل وذلك في عهد خليل باشا ونتيجة لذلك الوضع الذي وصلت إليه الأسرة تمكن أحمد باشا القرمانلي من الوصول إلى السلطة (جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981، ص 58 [71]

خامسا. الجالية اليهودية: تعد هذه الجالية أول الجاليات التي استقرت في الأراضي الليبية، وخاصة في طرابلس وعلاقة اليهود بمنطقة الشمال الأفريقي منذ القدم حيث يرجع اصلها إلى قدم الفينيقيين إلى هذه المنطقة حيث رافقتهم أعداد هائلة من اليهود وقد نزل هؤلاء في الموانئ والمصارف التجارية بأفريقيا غير أن استقرارهم بطرابلس يرجع إلى القرن الخامس قبل الميلاد إضافة إلى ذلك قدمت أعداد أخرى من اليهود خلال القرن الثالث قبل الميلاد، والدليل على ذلك أن هيرودوث عندما بين سكان ليبيا بتعدادهم لم يذكر العنصر اليهودي بها، مما يؤكد مجيئهم إلى ليبيا، وعند وصول بطليموس ارض برقة، أحضر أعداد كبيرة من اليهود إلى برقة وانتقلت أعداد أيضاً منهم إلى الجهات الغربية، وبالتالي كان استقرارهم خلال تلك الفترة بالمناطق الشرقية والغربية بالمدن الساحلية، إضافة إلى ذلك أن أعداد اليهود قد تزايد في مدينة طرابلس خلال السنوات 70-115-132-135 م وذلك لهروبهم المتلاحق بسبب الفوضى التي وقعت في برقة، وارض فلسطين، والاضطهاد المسلط عليهم من قبل الإمبراطور الروماني الذي دفعهم إلى التشتت في معظم أنحاء الإمبراطورية الرومانية غير أن اليهود قد تمتعوا بحياة سعيدة، وحسنة في طرابلس وحتى بعد الفتح العربي لها حيث عاشوا في استقرار وأمن، ويقدر عدد اليهود الموجودين في العالم في القرن الأول من الميلاد حوالي ستة وسبع. ملايين وخاصة مصر بها مليونين (أحمد خضر: مدن المغرب العربي في التاريخ، تونس، دار النشر بوسلامة، ج1د.ت، ص361362.[72]، أما طرابلس فكانت تضم عددا لا بأس به من اليهود (.المرجع السابق ص361362. (2) إن العديد من المصادر تشير إلى أن يهود طرابلس ينحدرون من اصلين مختلفين الأصل السامي، ومن البربر المتهودين ويرجع أصلهم من أصل بربري جاءوا من الجزائر، والمغرب الأقصى، وقد بلغ عدد اليهود سنة 1924 13260 نسمة (سعد على حامد: حياة اليهود في طرابلس خلال قرنين،، ص65. [73] وقد تعرض اليهود خلال السيطرة الإسبانية على طرابلس للاضطهاد من قبل الإسبان، ومورست ضدهم معاملة سيئة، وقد اسر العديد منهم ولم يطلق سراحهم إلا بعد إعطاء فدية (بلدية طرابلس في مائة عام، ص219 (1). ويمكن القول إن هذه المعاملة لا تختلف عن المعاملة التي قام بها الإسبان ضد أهل طرابلس بل كانت أسوأ وأشد ظلماً وقهراً غير أن ذلك لم يحقق أي نتيجة لهم مما أجبرهم على التخلي عن طرابلس لفرسان القديس يوحنا. **وقد أشار الرحالة جون فرنس الليون إلى اليهود بطرابلس بقوله** (لليهود حي سمي زنقة اليهود وهؤلاء الناس

مكرهون كثيراً فهم يحتكرون كل أنواع السلع ويغتنوا من وراء ذلك كثيراً ومحرم عليهم لبس الملابس الزرقاء ويسمح لهم بلبس العمائم الزرق) جون فرنس الليون: الرحلة، ص15[74]. إن هذه الصورة التي أعطاها عن الليبيين قد تكون منقولة عن أحد اليهود ومن العادة أن ارتداء الملابس تكون عادة وفق عادات وتقاليد المجتمع الذي يعيشون فيه وينتمون إليه، أما احتكارهم للتجارة فهذا معروف عليهم أنهم محبين للتجارة والكسب وخاصة الحرام منهم لتعاملهم بالرباء من خلال معاملاتهم التجارية والمالية. ومن جانب آخر **أشار الرحالة الحشائشي** إلى **التواجد اليهودي في طرابلس بقوله** (إن اليهود الذين يكونون التواجد اليهودي الموجود في طرابلس قد قدموا من مصراته وهم كثيرون في غاية الرفاهية يتمتعون بحرية تامة في كسبهم وفي ديانتهم وقد وفد إليهم اليهود الجزائريون والتونسيون) الحشائشي: الرحلة، ص103 [75]. إن هذه الشهادة قد أكدت لا مجال للشكل أن ما أورده الليون لم يكن دقيقاً ففيه تحامل على المجتمع الذي يعيش فيه هؤلاء اليهود فقد أكد الحشائشي على الحياة المستقرة لليهود وهم في غاية الرفاهية ينعمون بكامل الحياة في ممارستهم لمختلف الأنشطة الاقتصادية وخاصة التجارية منها وبالتالي يعيشون حياة مثل غيرهم. **ويشير من جانب آخر الرحالة نختنيال إلى التواجد اليهودي في طرابلس بقوله:** (تشكل الجالية اليهودية نسبة معتبرة من السكان يصل عددها إلى ربع السكان) خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة، رحلة نختنيال، ص165[76]، أن هذه الشهادة التي قدمها الرحالة نختنيال لا يمكن أن تكون دقيقة حيث لم تجر إحصائية لسكان طرابلس في تلك الفترة إلى جانب وجود العديد من الجاليات بها، ومن ثم نقول إن تلك الشهادة كانت تخميناً منه فقط أو من خلال سماعه لبعض اليهود. إضافة إلى ما أشرنا إليه نقول إن اليهود قد استقروا بأعداد كبيرة في ليبيا، وذلك نتيجة للهجرات التي وقعت في القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر بعد انهيار آخر المعاقل العربية في الأندلس غرناطة 1497م، وذلك بسبب الاضطهاد الذي مورس ضدهم، وقد انتشروا في غريان وطرابلس وبعض المناطق الأخرى (سعد على حامد، حياة اليهود في طرابلس خلال قرنين، ص65. [77]. وبالرغم من انتشار الإسلام في ربوع ليبيا بقت العديد من الجامعات على دينها ومن بينها النصارى الأقباط الذين يستقرون في مدينة أجدابيا والجالية اليهودية كبيرة في جادو وطلميته، والجدير بالذكر أن اليهود قد وصلوا إلى الأراضي الليبية واستقروا في برقة في تجمعات سكانية متربطة فيما بينها وقد قدم هؤلاء اليهود بعد خراب القدس عام 60م ومن جانب

أخر نشير إلى أن اليهود قد أحدثوا تمردا وقلاقل بين تجمعاتهم وقد استمر ذلك حتى نهاية القرن الأول الميلادي ونتيجة لتلك الأحداث والثورة حققت هذه التجمعات اليهودية إلى الفرار بحثا عن الأمن والاستقرار حيث استقر العديد منهم في الدواخل الليبية وبعضهم واصل سيره حتى بحيرة تشاد وحتى النيجر والسنغال وغرب أفريقيا وإلى دواخل الجزء الشمالي من أفريقية السودان وقد كان القولوغلية يشكلون طبقة في طرابلس، ويمارسون أعمالهم المختلفة، وإن كان بعضها إدارية وعسكرية وذلك وفق مراسم يصدرها السلطان العثماني، وهذا بدوره قد مكن العثمانيين من تثبيت نظام الحكم في ولاية طرابلس الغرب(عبد اللطيف البرغوثي التاريخ ليبيا القديم 1971 ص 416 كذلك جون رأيت تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور،، ص49-50[78]. وتشير بعض المصادر الأخرى أن جزء من هؤلاء اليهود والذين استقروا في ليبيا ينحدرون من العنصر البربري حيث اعتنقوا اليهودية وذلك بعد هجرة أعداد كبيرة من يهود فلسطين إلى إسبانيا ومنطقة الشمال الإفريقي (عبد العزيز طرح شرف ، جغرافية ليبيا ،، ص57 كذلك محمد ناجي طرابلس الغرب، ص 129[79]، واليهود خلال العهد العثماني الأول (1551-1711) كانوا يتمتعون بكل أمن واستقرار يمارسون النشاط التجاري على نطاق واسع الأمر الذي جعلهم يحتكرون تجارة ولاية طرابلس مع غيرها من البلدان(ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية،، ص89.. (80). أما في الفترة القرمانلية فكانت أوضاعهم مستقرة إلا أن واجهتهم بعض المتاعب أثناء سيطرة على برغل على طرابلس، أما في العهد العثماني الثاني فقد تمتعوا كذلك بالاستقرار، والأمن، ويمارسون نشاطهم التجاري الذي يعد أهم الأنشطة الاقتصادية التي يقومون بها (سعد على حامد، حياة اليهود في طرابلس خلال قرنين،، ص16، 17(81)، وتمتع اليهود بطرابلس خلال حكم أحمد باشا القرمانلي بمعاملة حسنة والاستقرار والأمن، كما تمتعوا في حكم علي باشا أيضاً بنفس المعاملة إلا أن اليهود قد تعرضوا للقتل وسلب الأموال وهتك الأعراض خلال فترة سيطرت علي برغل على كرسي الحكم في طرابلس مما دفع الجالية اليهودية في طرابلس لمساعدة يوسف باشا القرمانلي في الوصول إلى الحكم، الذي انعكس أيضاً على حياتهم، ففي عهده تمتعوا بمعاملة حسنة، ولم يتخذ ضدهم أي إجراء وقد وصل بهم الحد إلى بناء كنيسة لهم دون إذن بالرغم من شكوى الناس على ذلك كما كان لليهود خلال تلك الفترة الدور البارز والكبير في النشاط التجاري لطرابلس مما زاد من ثرائهم غير أن ذلك لم يدم طويلا فسرعان ما فرضت عليهم الضرائب بسبب الأزمة المالية التي

تعيشها الولاية كما أنهم تعرضوا إلى سلسلة من العقوبات في أواخر حكم يوسف باشا خاصة فرض الضرائب وسلب أموالهم وأملاكهم(برنيا: طرابلس من 1510 – 1850،ص 113 – 114 كذلك، ردوف مكاكي: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية،، ص405– 406[82]، أما في العهد العثماني الثاني فبعد السيطرة العثمانية من جديد على طرابلس نجد أن اليهود قد تمتعوا بمعاملة حسنة مثل المعاملة التي اتسمت بها فترة الحكم العثماني الأول لطرابلس وحتى من قبل زعماء القبائل الليبية ونجدهم قد عاملوا اليهود معاملة طيبة وصلت الحد إلى أن غومة المحمودي عندما سيطر على الجبل الغربي قد قرر عقوبة الإعدام على كل من يقتل يهودياً وبعد وصول السلطان عبد الحميد إلى السلطة في الدولة العثمانية أصدر قانون التنظيمات عام 1856 وبموجبه حدد العلاقة والمعاملة لكل الأجناس والفئات والجاليات مع الدولة العثمانية حيث جعلهم متساوين بغض النظر على اختلاف المذهب والعقيدة غير أن هذا القانون لم تحافظ عليه الدولة العثمانية، حيث واصلت فرضها للضرائب على اليهود ومن جانب آخر تعرضوا للعديد من النكبات والمصائب خلال العهد العثماني الثاني الذي يعد رفضاً من قبل الليبيين لهذه الجاليات اليهودية، حيث أحرقت كنيستهم في زليتن وأحرقت كنيستهم في مصراته) المرجع السابق ص ونفس الصفحة (3) عام 1871 وفي العمروس(برينا، طرابلس 1510 – 1850، ص 113 – 114 – 115، كذلك ردولف مكاكي، طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، ص 406 – 407 كذلك، سعدي حامد، حياة اليهود من طرابلس إلى فزان، ص 65 – 66 [83]. وبالتالي يمكن القول أن اليهود قد تمتعوا بمعاملة حسنة في العهد العثماني الثاني وتمتعوا بالأمن والاستقرار يمارسون نشاطهم التجاري الذي يعد اهم الأنشطة الاقتصادية التي يقومون بها. وقد أشار الرحالة الحشائشي إلى حادث سرقة لأحد كنائس اليهود في مصراته وفي طرابلس عند زيارته للمدينة عام 1895م بقوله (ولما كانت هناك بمصراته عمد عدد من الأشقياء إلى كنيسة اليهود فدخلته ليلاً وأخذت منه جميع الفضة وصندوقاً به عشرة آلاف قرشاً كانت موضوعة للتوزيع على الفقراء والمساكين منهم ثم مزقت الكتب التي ذكرت [.] ولما بلغ الأمر الحكومة خرجت العساكر للبحث وإلقاء القبض على أنفار متهمين وبطش الحكومة بالجاني البطش العظيم بالغرامة والعقاب الشديد) الحشائشي: الرحلة، ص103. [84]. ومثال آخر: إن اليهود في غريان قد تظلموا من الضرائب المفروضة عليهم من قبل قائمقام غريان، كذلك يهود يفرن قد تظلموا هم الآخرون عام 1907م ضد

قائمقام يفرن، حيث منعهم من الاسترزاق حيث كانوا باعة متجولين بين القرى والأحياء وقد منعوا من ذلك، وبالتالي قدموا العديد من الشكاوي ضده (انتونى كاكيا: ليبيا خلال الاحتلال العثماني الثاني 1835هـ، 1911م،، ص 25[85]، ويمكن القول إن معاملة اليهود بصفة عامة في ولاية طرابلس الغرب كانت حسنة، ويشير العديد من الرحالة الذين زاروا ليبيا في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هم أيضاً بأن معاملة اليهود كانت حسنة وطيبة ويتخللها التسامح معهم. وقد كان عدد اليهود في القرن الثامن عشر 800 يهودياً في مدينة طرابلس وحدها أما في الخمس فكان لا يزيد عن اثنى عشر يهودياً وفي مدينة مصراته لا يزيد عن 6 ستة، أما في مدينة بنغازي المدينة الثانية في ولاية طرابلس فيقدر عدد اليهود حوالي مائة 100 يهودياً، أما في مدينة درنة فكان 12 اثنى عشر يهودياً وقد كانت هذه الجالية تتمتع بامتيازات كبيرة، وخاصة في النشاط التجاري الذي يعد احتكاراً لها(فرنسيسكو كور، ليبيا في العهد العثماني الثاني، ص25[4]. **وقد أشار الرحالة بارت إلى اليهود في طرابلس بقوله** (يبلغ عدد سكان المدينة بما في ذلك اليهود الذين يشغلون الجزء الشرقي منها وينصرفون للتجارة وصناعة الذهب والفضة عددهم يتراوح بين ثلاث عشرة إلى أربع عشرة ألف نسمة)(بارت: الرحلة، ص160[86]، يقول الرحالة نختنجال: (اليهود يمارسون النشاط التجاري بطرابلس على نطاق واسع إضافة إلى بعض الحرف الأخرى من زراعة وفلاحة وتربية ماشية وبالتالي يشكلون الطبقة الغنية في طرابلس دون الجاليات الأوروبية الأخرى) خليفة محمد التليسى حكاية مدينة طرابلس لدى حالة العرب والأجانب، رحلة نختنيال، : ص172. [87]ومن هناء يمكن القول إن السكان في ليبيا يتكون من العديد من العناصر التي قدمت إلى البلاد الليبية وامتزجت بالسكان الأصليين وبمرور الزمن أصبحوا جزا من مكونات السكان في ليبيا غير انه يوجد في بعض المدن العديد من السكان مازالوا محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم ولهجاتهم في الوقت نفسه محتفظين بعقيدتهم الإسلامية والانتماء لهذا الوطن.

المصادر والمراجع العربية والاجنبية:

1-أحمد زكي، رحلة إلى الأندلس، دراسة وتقديم، محمد كامل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1990 م

2 ادوارد ريا: المغرب العربي في القرن التاسع عشر البدة طرابلس القيروان 1877 تونس مصطفي جودة الثاني دار مكتبة الفئر طرابلس ليبيا

3- أحمد توفيق المدني، قرطاجة في أربعة عصور، من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة العامة للكتاب، الجزائر، 1980 م

4- أفالد بانزه، الرحلة، دراسة وتقديم عماد الدين غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية سلسلة نصوص ووثائق 26 م، 1998 م

5- بلدية طرابلس في مائة عام،

6- أتوري روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى 1911، ترجمة وتقديم خليفة محمد التليسي، ط 1911 م توزيع الدار العربية للكتاب،

7- انتوني كاكيا، ليبيا خلال الاحتلال العثماني 1835 – 1911، يوسف حسن العسلي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، 1996م،.

8- ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1959، ج6،

9- السيد عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج 2، الدار القومية للطباعة والنشر، 1966 م

10- أحمد خضر: مدن المغرب العربي في التاريخ، تونس، دار النشر بوسلامة، ج1د.ت

11- ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، دار التعاون للطبع والنشر

12الصادق النيهوم تاريخنا، الكتاب الثاني عن القرن السابع قبل الميلاد وحتى سقوط قرطاجة

13-برنيا: طرابلس من 1510 – 1850، تعريب خليفة محمد التليسي، دار الفرجاني طرابلس – ليبيا، الطبعة الأولى، أيار مايو 1969 م

14- تاريخ القوات المسلحة التركية الدور العثماني الحرب العثمانية الإيطالية 1911م-1912م ترجمت محمد الأسطى وعلى إعزازي مراجعة نجم الدين زين العابدين

15- جون فرنسي الليون الرحلة من طرابلس إلى فزان 1818 ترجمة مصطفي جودة الدار العربي لكتاب ليبيا / 1396 – 1976م،

16- جون رأيت تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، تعريب عبد الحفيظ الميار وأحمد البازردي، طرابلس عام 1835، 1858، مكتبة جامعة الفاتح، 1981 م

17 جلال يحي تاريخ المغرب الكبير دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1981 م

18- حسن الوزان: وصف أفريقيا، الطبقة الثانية (ج 2) دار المغرب الإسلامي بيروت 1983م

19- خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب العرب والأجانب، رحلة بارث،، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية 1985، ليبيا تونس

12- خليفة محمد التليسي: حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب العرب والأجانب، رحلة نختنيال، الدار العربية للكتاب، ط2 1985، ليبيا تونس

20-رولفس، الرحلة من طرابلس إلى الإسكندرية عبر بنغازي والجبل الأخر وأجدابيا وأوجلة وجالو وسيوه، ترجمة وتقديم عماد الدين غانم، الطبعة الأولى 2002، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب الوطنية – بنغازي

21- مكاكي: طرابلس الغرب تحت حكم الأسرة القرمانلية، منشورات دار الفرجاني، 1975 م

22- الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، دار العلم للملايين، ط3، 1965م

23- سعد على حامد: حياة اليهود في طرابلس خلال قرنين، مجلة تراث الشعب، العدد الأول والثاني، 1429هـ، 1999م،

24- الحجاجي: ليبيا الجديدة، منشورات مجمع الفتح للجامعات، طرابلس، ط2، 1989م

25- شارل فيرو، الحوليات الليبية، ترجمة عبد الكريم الوافي، 1994 م منشورات جامعة قاريونس، بنغازي

26- صالح مفتاح، ليبيا من الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات الشركة العامة للتوزيع والنشر، يوليو 1978 م

27- عبد العزيز طرح شرف ، جغرافية ليبيا ، الإسكندرية، الطبعة الثانية لسنة 1971م،

28- عبد اللطيف البرغوثي التاريخ ليبيا القديم بيروت 1971 م

29- عبد القادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، دار المصراتي، ليبيا

30-، البرغوثي، تاريخ ليبيا الإسلامي، منشورات الجامعة الليبية، 1988 – 1989 م

31- عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، مغرب الأرض والشعب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986 م

-32-عبد الحميد سعد زغلول شعيره، محمد الهادي سعران، محمد حسن عطية، نبيلة حسن محمد، رحلة العياشي، ماء الموائد، ليبيا طرابلس، برقة، الطبعة الأولى، السنة 1998 م،

33- فريدريك هورنمان الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان عام 1797م عريب مصطفي جودة، مكتبة الفرجاني طرابلس ليبيا

34- فرانسوا كورو ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني تعريب جليفة محمد التليسى المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ط 2 طرابلس (1984 م)

40- محمد المليلي، الجزائر والمسألة الثقافية، مدخل تاريخي، مجلة المستقبل العربي، العدد 41، السنة السابعة، 1982 م

35- محمد علي عيسى، اسم ليبيا، دلالته وظهور الليبيين القدماء على مسرح التاريخ، مجلة تراث الشعب، العددان 1، 2، لسنة 1999، اللجنة الشعبية العامة للإعلام، طرابلس،

36- محمد علي عيسى أبو القاسم، مزاعم علماء الغرب على نظرية الأصل الأوروبي لبعض سكان المغرب العربي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة 25، 2003 م

37- محمد سعيد القشاط، التوارق عرب الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شعوب الصحراء، الطبعة الثانية 1989 م الناشر، منشأة المعارف، الإسكندرية، جلال يحيى وشركاؤه.

38-مؤيد العظم: رحلة الصحراء الكبرى بأفريقيا، ترجمة: عبد الكريم الوافي مراجعه صلاح الدين حسن السوى، طرابلس، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، دار الكتب الوطنية، الطبعة الأولى، 1998م،

39- الحشائشى الرحلة جلاء الكرب عن طرابلس الغرب 1885 لبنان للطباعة والنشر والتوزيع

40- محمد الحراري عبد السلام، ليبيا لدى الرحالين المغاربة في القرنين السادس عشر والسابع عشر، ملحق رحلة القادري وملحق رحلة الهشتوكي البوسى القادرى شعبة التثقيف والإعلام، طرابلس، ط 1998 م .، الطبعة الأولى 1998 م الناشر شعبة التثقيف والإعلام، طرابلس الجماهيرية

41- يسري عبد الرزاق الجوهري، السلالات البشرية، الطبعة الأولى، دار المعارف، مصر، 1966 م